المحاضرة الثامنة: **الاتجاه** الدلالي :سيميولوجيا الدلالة

تعتمد سيميولوجيا الدلالة على أبحاث كل من رولان بارت (R.Barthes)ومنها كتاباته المعونة ب : درجة الصفر في الكتابة ، عناصر السيميولوجيا ، بلاغة الصورة ، هذا بالإضافة إلى أعمال غريماس المتعلقة بالسرد ،وأعمال كلود ليفي ستروس في مجال الأساطير.

في حين يعتبر رولان بارث خير من يمثل هذا الاتجاه ، لأن البحث السيميولوجي لديه هو دراسة الأنظمة الدالة، فجميع الأنساق والوقائع تدل. فهناك من يدل بواسطة اللغة، وهناك من يدل بدون اللغة ، بيد أن لها لغة دلالية خاصة بها ، فالحديث عن الدلالة لا يعني إقتصارها على العلامة السيميولوجية فقط بل تمتد للعلامة اللسانية أيضا لكنها تتجاوز التواصل المبني على القصد لدى مستعملي العلامة ، إذ تتميز سميولوجيا الدلالة برفضها للتميز بين الدليل / والأمارة ومن هنا، فقد تجاوز رولان بارث تصور الوظيفيين (أصحاب الاتجاه التواصلي) الذين ربطوا بين العلامات و المقصدية: حيث أكد على وجود أنساق غير لفظية، حيث التواصل غير إرادي، لكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة .

ومادامت الأنساق والوقائع كلها دالة، فلا عيب في تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللفظية.

ومن هنا، فقد انتقد بارث في كتابه (عناصر السيميولوجيا) الأطروحة الدسوسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في قلب السيميولوجيا ،وفي محاولة منه لرسم الحدود والعلاقات الموجودة بين العلمين أقر بارث بأن المعرفة السيميولوجية ،ليست في الواقع إلا صورة أو نسخة من المعرفة اللسانية ، لا يعني أن اللسانيات أصل والسيميولوجيا فرع وبعبارة أخرى أكثر وضوح نقول : إن اللسانيات أوسع مدى من السيميولوجيا باعتبار أن اللغة هي التي تمدنا بالمعاني ،والدلالات ،والأسماء للأشياء التي يقترحها الكون علينا ، لتكون جميع مظاهر التواصل الأخرى مشتقة عن اللغة ، تالية لها وتقتضيها.

إذ تعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة، حيث أنه ما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية أو أنساقا دالة ، ولولا امتزاجها باللغة، إذ أن كل نظام دلالي يمتزج حتما باللغة ، ويعلن صراحة أننا اليوم وأكثر من أي وقت مضى ، بالرغم من اجتياح الصور لحياتنا .. إلا أننا نعيش حضارة الكتابة . وهذا ما دفع بارث إلى أن يرى أنه من الصعب جدا تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة؛ بحيث إن إدراك ما تدل عليه مادة ما يعني اللجوء، قدريا، إلى تقطيع اللغة؛ فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة".

عناصر سميولوجيا الدلالة : لقد حدد رولان بارث عناصر سيميولوجيا الدلالة في كتابه(عناصر السيميولوجيا 1964)، وذلك في شكل الثنائيات البنيوية التالية: ثنائية الدال والمدلول، وثنائية التقرير والإيحاء ، وثنائية اللسان والكلام، وثنائية المركب والنظام والتي

هي مستقاة من ثنائيات دسوسير ،وقد حاول بارث بهذا تطبيق المقاربة اللسانية على الظواهر السيميولوجية، كأنظمة الموضة،والأساطير، والطبخ، والأزياء، والصور،والإشهار، والنصوص الأدبية ، والعمارة ، إلخ ويعني هذا أن رولان بارث عندما يدرس الموضة مثلا يطبق عليها المقاربة اللسانية تفكيكا وتركيبا من خلال استقراء معاني الموضة ودلالات الأزياء ،وتعين وحداتها الدالة و مقصدياتها الاجتماعية والنفسية والثقافية ونفس الشيء في قراءته للصورة أو المطبخ...

اللغة والكلام : من المعروف أن هذه الثنائيات (لغة/ كلام) هي إحدى أهم الثنائيات الأساسية في لسانيات دسوسير إذ ميز بين ما هو لغة الذي هو مجموعة من الأنظمة والقواعد التي تمتلكها جماعة بشرية في تواصلها وتخاطبها وبين الكلام الذي يمثل تجسيد اللغة على أرض الواقع ،ويركز هذا الأخير على أن اللغة ضرورية حتى يصبح الكلام مفهوما وواضحا ومؤثرا كل التأثير ." إن اللغة في وقت واحد هي إنتاج الكلام ووسيلة له، ولكن هذا لا يمنع من أنهما شيئان متميزان كليا الواحد عن الأخر"

فعلاقة اللغة بالكلام هي علاقة جدلية ، فالكلام لا يتحقق إلا اللغة ،واللغة لا أهمية لها إن لم يستخدمها أفراد يعرفونها.

ومن هذا المنطلق قام بارث بتطبيق هذه الثنائية اللسانية في تحليله للظواهر الاجتماعية – الثقافية مؤكدا على أهميتها ، إذ قام بتطبيقها على ظاهرة اللباس والطعام والأثاث ...إلخ ، فعلى سبيل المثال نجد من حيث الطعام أن اللغة تتكون من قواعد الإقصاء(ما هو خارج عن الأطعمة) ومن التقابلات (مالح / حلو وساخن وبارد ..) وقواعد الجمع والتأليف بين المواد الداخلة في صنع الأطعمة ، أما الكلام الغذائي فيتمثل في إختيار أنواع من الأطعمة تتميز بطريقة معينة في التحضير ، ولائحة الطعام المقدمة في المطاعم تمثل لنا نموذجا واضحا للعلاقة بين اللغة والكلام ، لأن كل لائحة تكون مصممة بناءا على تركيبة وطنية أو إقليمية أو إجتماعية ويتم ملئ هذه التركيبة كل يوم بصورة مختلفة وفق رغبات الناس مثلما يحدث بالضبط عند ملئ صيغة لسانية ما بتنويعات حرة وتركيبات يحتاج إليها المتكلم لبث رسالة خاصة

الدال والمدلول :إنطلق مفهوم رولان بارث للعلامة من مفهوم دسوسير للعلامة اللسانية التي تتكون من دال ومدلول إذ يرى رولان بارث بأن البحث في العلاقة بين الدال والمدلول هو أساس البحث السيميولوجي ،ويؤكد في كتابه أسطوريات أن السيميولوجيا هي في البحث بين العلاقة بين الدال والمدلول ،اللذان هما من طبيعتان مختلفان ،والدلالة لن تكون مطلقة بالنسبة للعلامة السيميولوجية ، فهي ترتبط بالإستعمال وفي سياق محدد فمثلا : اللون الأخضر في إشارة المرور يتعلق بالسير في إشارة المرور لكن تختلف عنها في مستويات أخرى (كاللون الأخضر في ملصق إشهاري مثلا. (

ففي كثير من الأنظمة السيميولوجية (صور،إيماءات ....) تكون ماهية التعبير مغايرة للدلالة ،وهي غالبا أشياء للاستعمال حملها المجتمع غايات دلالية ، وتسمى هذه الأنساق

بالوظائف الدلالية fonctions- signes مثل ما هو الحال بالنسبة للمعطف الذي يستعمله الإنسان منذ أجل الوقاية من المطر أو البرد ولكن في الوقت نفسه علامة دالة عن حالة مناخية معينة ، حالة اجتماعية ، ووضع اقتصادي ...إلخ

المركب والنظام : إن اللغة في إنتاجها للكلام تخضع لنوعين من العلاقات منها ماهو على المستوى التركيبي أو على المستوى الاستبدالي ، وما يميز المفردات على مستوى العلاقات التركيبة هو صفة الحضور في الفضاء أو الزمان في حين تميل المفردات على المستوى التركيب نحو الغياب عن الفضاء أو الزمان لأنها تكون غائبة على المستوى التركيبي لكنها حاضرة في الذهن.

الأنظمة المطبق

مجموعة قطع لايمكن إرتداءها في وقت واحد للباس

وعلى موضع واحد من الجسم (قبعة ، خمار(...

وتغيرها يعني التغير في معنى الباس تجاور بين عناصر مختلفة للباس

متكامل (حذاء+سروال +قميص)(

الطعام مجموعة من الأطعمة المختلفة يتم إختيار واحد منها دون أخر التسلسل الواقعي للأطباق المختارة في

الوجبة (الأطباق الإستهلالية + نوع من الأطباق الرئيسة + نوع من أطباق التحلية

الأثاث التنويعات الأسلوبية لأثاث واحد التواجد المتزامن لقطع أثاث مختلفة في مكان واحد(سرير + خزانة + طاولة(...

غير أن رولان بارث يستخدم مفهومي المركب والنظام للتدليل على هذين النوعين من العلاقات اللغوية كما يرى ضرورة هذين المستويين في الأنظمة غير اللغوية أيضا ، كما يطبق على بعض المظاهر منها : اللباس ، الطعام والأثاث مثلما هو موضح فيا يلي

النظام في سيميولجية اللباس هي مجموعة قطع لايمكن إرتداءها في وقت واحد وعلى موضع واحد من الجسم (قبعة ، خمار ...) وتغيرها يعني التغير في معنى اللباس اما المركب فهو تجاور بين عناصر مختلفة للباس متكامل (حذاء+سروال +قميص)

النظام في سيميولجية الطعام هي مجموعة من الأطعمة المختلفة يتم إختيار واحد منها دون أخر أما المركب هو التسلسل الواقعي للأطباق المختارة في الوجبة (الأطباق الإستهلالية + نوع من

الأطباق الرئيسة + نوع من أطباق التحلية)

النظام في الأثاث هي التنويعات الأسلوبية لأثاث واحد أما المركب هو التواجد المتزامن لقطع أثاث مختلفة في مكان واحد(سرير + خزانة + طاولة ...)

التقرير والإيحاء :إذا كانت اللغة النفعية تستهلك نفسها ،وتعلن عن ذاتها مباشرة ،فإن اللغة الثانية كما دعتها "جوليا كريستيفا " لغة متسامية لغة لاتعلن عن نفسها ،بقدر ما تعلن عن بداية إشتغالها وعن سيرورة التخفي .

وتتناول هذه الثنائية الدلالية التقريرية والإيحائية التي يتميز بها النص الأدبي في علاقته مع المتلقي ، ويبدوا أن هذه الثنائية قد إقتبسها رولان بارث من اللساني الدانماركي هملسيف الذي نقل أراء دسوسير عن العلامة اللغوية في إطار أوسع وذلك بإستبدال الدال بالمدلول بمستوى التعبير والمضمون ، إذ يرى همسيلف أن مستوى التعبير يشكل جانب اللغة الخارجي ،ويعني به الغلاف الضوئي أو الخطي أو الحركي أما مستوى المضمون فهو يوحي بعالم الفكرة التي تحتضنها اللغة تعبيرا.

الشكل يبين طرفي العلامة عند هؤلاء الباحثين:

الدال التعبير

التقرير

دسوسير هملسيف رولان بارث

المدلول التضمين

الإيحاء

فكلما كان مستوى التعبيري أو اللفظ المنسق وفق ما تسمح به قوانين التركيب دالا على المضمون ، أو المحتوى دلالة مباشرة ،وكلية ونهائية ، أي لاتحتمل التعدد أو الإحالة في مستوى أخر ،كانت اللغة تقريرية أو واصفة أو نفعية أو عديمة إمكانية التوالد .أما إذا كان الناتج أو الحاصل من الأطراف الثلاثة ،عنصرا أخر في نظام يشتغل في مستوى أبعد من المستوى الأول ، نكون حينئذ أمام نظام مبطن وإيحائي ، أو المحتمل ، أو تعدد مستوى إنتاج الدلالة ، ليصير النظام الأول جزءا من النظام الثاني في الدلالة.

وهو ما يعده (بارث)اشتغالا في مستويات متعددة من التعبير ، ويكون الخطاب الأدبي وفق ما أسماه بنفنيست بالسيمياء التضمنيية.بحيث تتحول العلامات في مستواها الأول دوالا ، تحيل بدورها على مدلولات منفتحة هي الأخرى كثيرة وغير محدودة ، لاسيما إذا أخذنا في الحسبان وظيفة المتلقي الكيفي ، في الأطر الكيفية (الزمان ،والمكان والموقف) كمنتج أخر لتلك الدلالات القابلة بدورها لأن تصير دوالا جديدة .ومن التعبيرات المجازية عدة منها :

: على مستوى الكناية

: قالت الخنساء

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ماشتا

: على مستوى التشبيه

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن خلال العودة إلى كناية الخنساء في (كثرة الرماد) التي لا تحيل على الكرم بصورة مباشرة ، بل عبر مراحل متدرجة ، إذ تحيل في أول الأمر على كثرة الطهو ثم على كثرة الآكلين ، المفضية إلى كثرة الضيوف ،التي تحيل إلى كرم وجودة الممدوح .